نصّ الرسالة التي وجهها الرئيس العماد عون إلى اللبنانيين بمناسبة ذكرى الاستقلال عام ١٩٨٩

أيها اللبنانيون

لأكثر من سنة خلت، عندما عُهد إليّ بكرة النار المشتعلة، قلت لكم أن المطلوب ليس الإتيان برئيس يُهدي ما تبقّى من وطنكم، بل برئيس يسترد ما أُخذ ويستعيد ما فُقد.

وتساءلت في رسالتي الاستقلالية الأولى إليكم " هل المطلوب الانصياع للإرادات الخارجية المتوافقة على استعجال المجيء برئيس رهينة فنكون شاهد زور على رصاصة الرحمة تطلق في رأس الكيان؟ ".

أما في شأن الإصلاح الذي بات حاجة وطنية جماعية ماسّة فسألتكم " هل المطلوب أن نحقّق إصلاحاً مشروطاً لشعب لا حول له ولا قرار، ممنوع عليه التعبير عن رأيه في إصلاحه، ومحظور عليه الجهر بانتمائه إلى أرضه ودولته وهويته ؟ ".

وعاهدتكم حينذاك على العمل لتحقيق " قيامة لبنان الواحد القوي على أنقاض لبناناتهم الطائفية الهزيلة ".

يومذاك كنا نعرف أن توافق المصالح بين الارادات الخارجية تلك هو الذي يصرّ على استعجال المجيء برئيس شكلي لجمهورية وهمية. وكنا نعرف جيداً أن مثل هذا الرئيس سيكون أداة احتلالية أخرى وجسر عبور للاحتلال من لبنان المحتل إلى ما تبقّى من معاقل سيادة للوجود اللبناني الحرّ. لذلك رفضنا أن نكون شاهد زور على اغتيال الكيان.

كذلك رفضنا أن يُفرض على شعبنا إصلاح مزعوم لا رأي له فيه، لأن كل إصلاح لا ينبع من إرادة الشعب الحرة، ولا يراعي حاجاته وطموحاته، لن يكون ركيزة استقرار وعامل توازن في المعادلة الوطنية المنشودة. فالذين كانوا سبباً في الحرب على لبنان، سواء أولئك الذين عبثوا بتركيبته الطائفية أو السياسية، وفجّروا توازنه وأمنه واستقراره الداخلي أولئك الذين تولّوا توزيعه على خريطة مصالحهم الإقليمية المتوافقة مع مصالح من يزعمونهم أعداء استراتيجيين، فقسّموه دوائر وأحزمة وخطوط تماس وواقيات صدم

وأولئك الذين لم يروا في لبنان وشعبه أكثر من رقم فائض في المعادلة الإقليمية وعقبة يجب إزالتها تسهيلاً لإعادة رسم مصالحهم على خريطة التسوية للمشكلة الشرق أوسطية

أو كل الذين وقفوا متفرّجين طوال خمس عشرة سنة على مأساة لبنان

إن كل هؤلاء ليسوا مؤهّلين، ولا يحق لهم أو لأحدهم، أن يفرضوا حلاً لمشكلة وطن تسبّبوا في تفكيكه، ولمعاناة شعب كانوا هم سبب كل ما أصابه من آلام ومآسٍ وأحزان.

أوليس كل ما عانيناه طوال خمس عشرة سنة كان نتيجة للاحتلالات والتدخلات الخارجية، التي نجحت في استغلال بعض الثغرات في نظامنا الديمقراطي؟

أوليس أن الحرب علينا كلها كانت تحت عنواني استرداد السيادة وتحقيق الإصلاح؟!.

فأي سيادة استُردت وأي إصلاح تحقق، لكي تُضاء شموع الابتهاج وتقام مهرجانات النصر لما تمّ في الطائف من إنجازات مزعومة وبطولات زائفة؟.

لقد صمد شعبنا خمس عشرة سنة كالحة السواد، كما صمد سنة ونيف منذ إسقاط اتفاق التعيين السوري الأميركي في قصر منصور، فجاءوا يوقّعون في الطائف صك تنازل عما تبقّى، ويتلون فعل ندامة وتوبة واعتذار عن صمود الشعب وشهادة الشهداء ومقاومة التسلّط والاحتلال.

كذلك فإن ما يعتبرونه إنجازاً في الطائف لا اسم له سوى الخيانة والفشل.

إنه خيانة كاملة وفشل لبناني في حمل النظام السوري على الاعتراف بلبنان، وبالتالي الإقرار الصريح بوجوب الانسحاب من كافة الأراضي اللبنانية المعترف بها عربياً ودولياً.

أما الذين ذهبوا إلى الطائف لانتزاع هذا الاعتراف وذاك الإقرار، فقد عادوا من هناك بعدما وقّعوا لدمشق وثيقة مذلّة تخوّلها حق تعيين الرئاسة والوزارة، وتمحضها حق تقرير إبقاء قوّاتها في لبنان إلى ما تشاء وحيثما تشاء، إضافة إلى أنهم شرّعوا حق التدخل في الشؤون اللبنانية السياسية والأمنية الداخلية كافة. أما هؤلاء الذين تنازلوا عن البقاع والشمال والجنوب فليعلموا أن أي جزء من أرض لبنان لن يكون هدية لأحد لأن أحداً لا يملك حق التصرّف بذرّة من ترابه.

إنه فشل عربي ذريع، بدأ بتراجع اللجنة العربية الثلاثية عن تقريرها في وجه التعنّت السوري، وانتهى بفشل الجامعة العربية في حمل أحد أعضائها على التقيّد بميثاقها، وبذلك تكون هذه الجامعة قد فشلت ليس فقط في منع حصول سابقة اعتداء دولة عربية قوية على دولة عربية مستضعفة ، بل بتسجيل سابقة أشدّ خطورة هي اعتراف الأسرة العربية بأمر عدواني واقع، وشرعنة اعتداء عضو على آخر واحتلال دولة أراضي دولة أخرى.

وبمقدار ما كان الطائف خيانة لبنانية وفشلا عربيا فإنه أيضا فشل دولي موصوف ومكشوف. فالأسرة الدولية التي لم تبادر مجتمعة إلى فرض ميثاق الأمم المتحدة وشرعنة حقوق الإنسان وتنفيذ القرارات الدولية بوجوب انسحاب دولتين محتلتين من أراضي دولة عضو مؤسس، هذه الأسرة نفسها هل كانت خادعة أم مخدوعة عندما سارعت متفرقة إلى تأييد الطائف الذي يشرع الاحتلال ويبرئ العدوان ويؤمن تغطية دولية للتسلط والهيمنة ضد ميثاق الأمم المتحدة؟ وكيف

يمكن أن تفشل دول العالم الحر في إنقاذ مصداقيتها تجاه منع انتهاك حقوق الإنسان في لبنان، وفي مقدّمتها حق تقرير المصير. كذلك كيف يمكن أن تفشل الشيوعية والاشتراكية في منع سقوط مصداقيتها تجاه زعمها دعم حركات التحرير والتحرر ونصرة الشعوب المستضعفة في العالم؟!.

وبأي منطق يوفّق العالم بين تقاعسه في دعم حق لبنان في تقرير مصيره بنفسه في الوقت الذي يهلّل لسقوط جدار برلين التقسيمي؟.

أيها اللبنانيون ،

إن العالم كله يعرف أن ما جرى في الطائف هو خطأ جسيم يبلغ حدّ الجريمة، وسواء اعترف بذلك أم لم يعترف فإن الجريمة تبقى الجريمة، والخطأ الجسيم يبقى خطيئة مميتة ضد القانون الدولي العام ومبادئ الحق والعدل والسلام. لكنها ليست المرّة الأولى، ولن تكون الأخيرة، التي يقع فيها شعب صغير ضحية المصالح الدولية وثمناً لتوازن القوى الإقليمية الذي تستوجبه لعبة الأمم الجارية في مكان ما وزمان معين. غير أن التاريخ حافل بالشواهد على حتمية انتصار الشعوب في وجه المؤامرات الكبيرة، وتغلّب إرادة الصمود والتحرر على نزعات السيطرة والاستعباد. وقد أثبت شعبنا في هذا المجال القدرة والأهلية والجهوزية اللازمة للصمود والتصدّي، وإسقاط كل المشاريع المشبوهة، وتمزيق وثائق الذل التي يحاولون فرضها عليه.

أيها اللبنانيون،

لطالما أعلنّا وأثبتنا بالبرهان تلو البرهان أننا لسنا عشّاق حرب وهواة سلاح، بل طلاب حق وسعاة سلام. وهل كثير علينا أن نصرّ على حقنا في السيادة على أرضنا والحوار الحر في ما بيننا لترسيخ إصلاحنا الذي يُراعي حاجاتنا ويحقق لشعبنا الحرية والعدالة والمساواة.

هل من الجريمة أن نقول لسوريا وغيرها أننا نريد معها أفضل العلاقات ولكن خارج التهديد بالمدفع، وبعيداً عن التهويل بالقوّة والاستقواء ، وبعد جلاء آخر جندي عن أرضنا.

هل أن مطالبة جامعتي الدول العربية والأمم المتحدة بأن تكونا منسجمتين مع ميثاقهما ومبادئهما تعتبر خروجاً عن الإجماعين الدولي والعربي؟.

إذا كان هذا المفهوم الخاطئ الذي تدنّى إليه عالم نهاية القرن العشرين، وإذا كنّا مرغمين على الاختيار ما بين الانصياع لهذا المفهوم الظالم أو التمرّد عليه، فليعرف الجميع أننا متمرّدون رافضون، مصرّون على أن نربح كرامتنا واستقلالنا وحريتنا وإن اضطررنا لمواجهة العالم. كما أننا نرفض بدون تردّد أكذوبة التوحيد في ظل الاحتلال لأنها تؤدّي إلى التذويب، بمقدار ما نرفض أي شكل من أشكال التقسيم.

من هذه القناعات والمنطلقات الثوابت نحن نخوض اليوم المعركة الأشد شراسة في مسيرتنا نحـــو الاستقلال. بل لعلّها المرّة الأولى في تاريخنا التي نخوض مسيرة استقلال حقيقية من أجل اســتقلال حقيقي ونهائي. مسيرة التحرير هذه هي التي ستؤكّد الشقيق والصديق والعدو، وفي ضـــوء ذلــك سنحدّد علاقاتنا الواضحة بمحيطنا والعالم بعيداً عن مشاعر الخوف والضعف والتعقيد.

أيها اللبنانيون شعباً وقيادات ومقامات،

إنّ ما أدعوكم إليه في هذه المناسبة ليس أكثر من الإجابة عن سؤال :

هل أنتم مقتنعون حقاً بأن ما يجري هو الطريق الصحيح إلى لبنان سيد حرّ ومستقلّ ، يوفّر الأمـــن والعدل والاستقرار لجميع أبنائه؟.

إذا كان ردّكم " لا " فإن مسيرة التحرير بانتظاركم وهي تتسع لكل الإرادات والسواعد والخناصر.

أيها اللبنانيون في كلّ مكان من لبنان والعالم ،

لبنان لكم ، كلّه لكم جميعاً، وسينتصر لبنان؟

عشتم وعاش لبنان